مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد10 / العدد: 3 (2022)،ص: 1017-1031

جدلية المادة، الصورة، و الروح في الفكر الصوفي الأكبري عند ابن عربي.

Dialectics of Matter, Form, and Spirit in the Akbari Sufi Thought according to Ibn Arabi.

عثمان عويسي[1]، شريفي فاطيمة [2]

[1] جامعة ابن خلدون (تيارت)، aouissiot693@gmail.com

[2] مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر، جامعة ابن خلدون (تيارت)، cherififatima656@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/09 تاريخ القبول: 2022/09/11 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص:

إن المتتبع للنصوص الإبداعية الصوفية يفاجأ بذلك التصعيد المذهل للدلالة الجديدة المستمدة من الدلالة القديمة، ولا عجب فتراثنا العربي فضاء يسمح للطاقة المتخيلة بالعبور إلى الماوراء، واللامتناهي. وابن عربي كسليل طائفة يحدّثها قلبها عن ربها بلور الكثير من المفاهيم، واستطاع أن يجمع بين ما هو معنوي صرف، وبين ما هو حسي مدرك، وبين الغيبي والمشاهد، ولم يكن لتباين المصطلحات، و ما تكتنزه من حمولات معرفية عتيقة لتعيق رؤيته المتصلة بالأصل أو الحقيقة. ولعل في جدلية المادة، الصورة، والروح التي هي موضوع مقالنا ما يجلي رؤيته الموصولة بالآفاق، وكيف أوجد أواصر حميمية بينها في ظل الحب الإلهي؛ مترصدا نيل المقصود وتحقيق المراد المنشود.

الكلمات المفتاحية : حب، صوفية، مادة، صورة، روح، التصوف .

Abstract:

The follower of Sufi creative texts is surprised by this amazing escalation of the new connotation derived from the old connotation, and it is no wonder that our Arab heritage is a space that allows the imaginary energy to cross into the beyond and the

infinite. Ibn Arabi, as a descendant of a group whose heart talks about its Lord, crystallizes many concepts, and was able to combine what is purely spiritual, and what is perceptible sensory, and between the unseen and the scenes, and it was not for the contrast of terminology, and what he hoards of an ancient cognitive load to hinder his vision related to the origin, or the truth. . Perhaps in the dialectic of matter, image, and spirit, which is the subject of our discussion, what makes clear his vision connected to the horizons, and how he created intimate bonds between them in the shadow of divine love;
Keywords: love, mysticism, matter, image, spirit, mysticism.

المؤلف المرسل: عثمان عويسي

1. مقدمة

يزخر تراثنا الثقافي برصيد معرفي، ومخزون فكري هائل يحوي بواطن التجارب الإنسانية ،ويحمل في طياته دلالات ورؤى استشرافية زاخرة تنم عن تجارب روحية صوفية و معرفية بقيت راسخة تتجدد مع كل قراءة فاحصة تتفتق من خلالها طاقة توليدية متجددة ،دون أن تفقد أصالتها وثراءها المعرفي الموغل في الدلالة العصي عن الفهم .هذا التراث الثري الذي تسابق الغرب إليه لسبر أغواره، والارتواء من نبعه الصافي، كان حري بنا العودة إليه ونفض غبار النسيان عنه وإعادة قراءته؛ كونه النواة الثقافية الأولى التي ساهمت وتساهم في تكويننا وتشكيلنا على النحو الذي نحن فيه ممارسة ووعيا كتابيا وحياتيا.

ساهم الأدب الصوفي بشكل واضح في بلورة الكثير من المفاهيم التي ظلت تسير في اتجاه واحد وفق سلطة رسمية لا تخرج عن المألوف، و المتفق المعروف والموقوف، وسلطة فقهية لا تبارح ظاهرية النص مجرّمة كل محاولة تأويلية لأي مفهوم نصاني يخرج عن المتفق عليه، متهمة المخالفين بالزندقة والمروق والابتداع

ورغم ذلك استطاع المتصوفة في ظل هذا الوضع أن يؤسسوا أدبا جديدا ومفاهيم جديدة وطروحات تمتد عمقا وتتألقا فتشرئب لها الأعناق ، وتميل إليها النفوس ،فبات غاية ومحط نظر واهتمام الغرب والشرق لما يكتز من رؤى ومفاهيم جديرة بالبحث ،ولعل النتاج الأكبري الهائل خير داع لإعادة القراءة والكشف عن ما خفي من درر.

ومن هنا تناسلت المصطلحات وتفتقت المفاهيم –المادة ،الصورة ،والروح - لتثير جدلا معرفيا ضمن البنية المعرفية الأكبرية على غرار الكثير من المفاهيم الأخرى ذات الثنائية التقابلية "لتظهر أهمية ابن عربي بالنسبة للتراث السابق عليه في أنه بلور كثيرا من المفاهيم والتصورات التي توجد عند سابقيه بشكل ضمني غامض " (زيد، 1996) طارحة جملة من التساؤلات جديرة بالبحث والتقصي.

فما العلاقة الجامعة بين المادة، الصورة والروح ؟وما عمق هذا الترابط الظاهري المفضي إلى استغراق في الحقيقة النورانية والإشباع الذوقي؟ وكيف ينظر ابن عربي إليها تماشيا مع فلسفته ومذهبه وحدة الوجود ؟وهل يمكن لهذه الثلاثية أن تتقاطع في الحقل الصوفي؟

1- الحب والتجلي:

لا شك أن الحب حجر الزاوية في المنظومة الصوفية وبيت قصيده فلا يخلو ديوان من ذكره والإشارة إليه فهو النواة الذي يدور حولها المتصوفة بل والغاية التي يصبوا إليها كل سالك عبر المشاهدة، أو الكشف، أو التجلي.

كان استناد الصوفية في موضوع الحب والمحبة موصلا بالأصل وهو الحب الإلهي وتجلياته في الكون كونهم لا يخرجون عن فهمهم تماشيا مع العهد من جهة الإلهي ، ومع تجاربهم الروحية الإبداعية من جهة أخرى و في انفتاح الذات على

موضوعها فالذي هو الحقيقة أو الله لا يتم اعتمادا على العقل أو النقل ،وإنما اعتمادا على الحب، مما بوأ القلب مكانة في المعرفة الصوفية".(هيمة، 2013)

ربط الصوفية الحب بتجلي الجمال الإلهي وهذا التجلي ارتبط بالإيجاد ،فيظهر هذا الجمال في المخلوقات حسب ما اقتضته حكمته سبحانه فتوضحت لنا أن الألوهية في جوهرها تعبّر عن الحب وفي ذلك يقول ابن عربي : (عربي، 2009)

ولمّا رأينا الحب يعظم قـــــــدره* ومالي به حتى الممات يـــــدان**

تعشّقت حبّ الحبّ دهري ولم أقل* كفاني الذي قد نلت منه كفاني**

فإن بدالي المحبوب شمس اتــصاله* أضاء بها كوني وعين جـــــناني**

من هذا المنطلق العرفاني المؤسس على الحب سيعرف الحب تباينا في الطرح ،ورؤى تمتد عمقا مولدة هي الأخرى مفاهيم، لا تنفك عن هذا المعنى الأصيل ،والذي تدور حوله ورقتنا البحثية .- المادة والصورة والروح.

"قسّم ابن عربي الحب إلى ثلاث مراتب: الحب الطبيعي، والحب الروحاني، والحب الإلهي ،كما أنه أفرد لكل مرتبة تحليلا خاصا وموسعا .

1-1 -الحب الطبيعي: الحسي(المادة)

الحب السائد بين العوام وهو خاص بكل المخلوقات ،وغايته السامية هي :الاتحاد في الروح الحيواني ،فتكون روح كل واحد منهما (تساوي المتحابين) روحا لصاحبه بطريق الالتذاذ، وإثارة الشهوة، ونهاية من الفعل النكاح، فإن شهوة الحب تسري في جميع المزاج سريان الماء في الصوفة بل سريان اللون في التلون" (كعوان، 2009)

ليغدو الحب الطبيعي عند ابن عربي مصطلحا رديف المادي والعادي أو الحب الحسي، ومع ذلك فابن عربي في وصفه للحب الطبيعي لا يقدمه على أساس الحب الجنسي فقط بل على أنه حب شائع رغم أن الجانب الجنسي هو الذي

يستهلك الحب الطبيعي، يقول ابن عربي :"...ثم إن قوة الحب الطبيعي تشجع المحب بين يدي محبوبه ،له لا عليه ، فالمحب جبان ، شجاع ، مقدام ، فلا يزال على هذه الحال ما دامت الصورة موجودة في خياله". (عربي، 2009، صفحة 192)

يتضح مما سبق ذكره أن رغبة العاشق في الحب الطبيعي المرتبط بالمادة لا بالصورة رغبة قد ترتفع إلى درجة معنوية- تساوي الصورة – بحيث يصبح الحب الطبيعي متكأ يولج منه إلى الحب الروحي ، و هو ما يجعلنا نجزم أن الحب الطبيعي المرتبط بالمادة هو حب العامة ، ويبقى يتأرجح بين المتعة الجنسية والتجربة الوجدانية. ...وهذا الحب الطبيعي مقدس في كل الشرائع السماوية ،وليست له علاقة بالحب البوهيمي ،كما أن هذا الحب ،أناني ،لأن المحب فيه لا يحب محبوبه لذاته ،وإنما لنفسه -اللذة -.وفي حالة وجود عائق في تحصيل مبتغى المحب ،فإن ذلك سيزيد نار الحب اشتعالا ،كما يستولي على ذات المحب شعور يؤدي إلى مضاعفات كثيرة ومنها: تضخم صورة المحبوب في خياله ،وذاكرته ...وتلك هي العلامات الأولى لتحول الحب الطبيعي إلى حب روحاني ." (كعوان، 2009)

ومن هنا تبدأ فكرة الصورة تتبلور لدى ابن عربي من خلال النظر إلى المادة العاكسة لهذا العشق وغالبا هي المرأة ،والتي تعتبر صورة تجلي من تجليات الله في التعبير الصوفي تعبّر عن الحب الإلهي ،وهذا لا يفهم إلا رمزا ،لأنها الرمز الأكمل لتجلي الألوهية ،وهذا ما يجمع بين الخاصية الإنسانية والإلهية وتكون بذلك مظهرا من مظاهر الجمال الإلهي ،"إنها رمز الحكمة والحب ،إن جمالها ما هو إلا أمارة على الجمال الكلي الدائم". (خوالدية، 2014)

مما ينتج عنه التباين بين ما هو حسي محض وبين ما هو معنوي صرف؛ ليتأسس مفهوم المفارقة بين المصطلحات المادة ،الصورة ،والروح كمعطى تفرضه

الرؤية الصوفية عموما ،وابن عربي على وجه الخصوص ،كونه صاحب نظرية معرفية أسّست لكثير من المفاهيم وطرحت الكثير من الجدل المعرفي على المستوى الرسمي والفقهي وفق مذهبه العام الذي هو" مذهب وحدة الوجود، حيث الوجود في حقيقته وجوهره شيء واحد ،متعدد متكثر في النظر والاعتبار...". (العفيفي، 1998) ويمكن أن نصف هذا النوع من الحب بالحسي أو المادي، وبالتي هو يقابل مصطلح المادة .

2-1 -الحب الروحاني: المعنوي (الصورة)

وهو تعلق أسمى بالمعارف والأسرار لدرجة الاستماتة ،إنه حب الخواص، والعارفين حيث الاشتياق الدائم لتلقي الحقائق الروحية العليا ،لأجل الالتذاذ بالمعارف." (كعوان، 2009)، وهنا تتضخم صورة المحبوب في الخيال والذاكرة ،فالعاشق يتمثل لمعشوقه صورة في خياله أرفع درجة من الصورة الحسية المادية التي هو عليها. ولعل هذا يرتبط بمفهوم التبلور كما أشرنا سلفا عند ابن عربي يقول في ذلك".. فيشاهده متصلا به اتصال لطف منه في عينه في الوجود الخارج وهو الذي اشتغل به قيس المجنون عن ليلى حين جاءته من خارج فقال لها إليك عني لئلا تحجبّه كثافة المحسوس منها عن لطف هذه المشاهدة الخيالية...." (عربي، التجليات الإلهية، 2002)

يعطي ابن عربي للصورة أهمية كبرى مترسما في ذلك خطى سابقيه في نظرته للوجود حيث كل مما فيه هو نوع من التجلي يرى فيه الحق بصفاته لا بذاته، وتبقى المرأة النموذج الأوحد الجامع بين المادة والصورة ،بين الحسي والمعنوي ويقر ابن عربي بهذا التجلي في الكثير من كتاباته.

يقول ابن عربي : (عربي، الديوان الكبير، 1996)

إذا تجلّيت لي أنثى أهيم بـــها* ولو تجليت لي في أقبح الصّـــور**

لعاد قبح الذي جعلتُ مظهركم* عندي وفي نظري من أحسن الصور**

تبارك الله في مجلاه نعـــــرفه* ولو جهلناه كنّا منه في ضـــــــرر**

3-1- الحب الإلهي الصوفي: (الفناء، برزخ البرازخ)

وهو درجة عالية للحب الروحاني ،لذلك سعى الصوفية إلى خلق معجم دلالي يتماشى وطروحاتهم في هذا المجال ،وهو حب جامع لدى الانسان ،إذ لا يتعلق بموضوع معين كالحب الروحاني والطبيعي ...جامع فيما هو صورة للألوهية يحب كل مظاهرها ،وبما هو صورة للعالم يحب كل مراتبه ... وهذا مبرر صحيح لتعدد مظاهر الحب لدى الصوفية" (كعوان، 2009)

وذلك مبتغى كل صوفي بدأ رحلة سفره إلى الله في ارتقاء متجدد، متواصل حيث الفناء وعروج الروح كما بدأت،

"فالمحبة تتخلل الذات والروح والمعرفة فتبدعها في أدق صورة ؛وتصلها بالكل ؛وما الكل إلا منبع المعرفة وعينها؛ ومتى تلقت الأفهام والعقول المعرفة من غير منبعها الصافي ؛وُرِّثت وأُورثت فهما كليلا عليلا ؛وأشربت الأفهام كدرا وطينا" (المصطفى، 2018)

ويمكن فهم التصوّر التماثلي لكل من المادة، وما يقابلها الحب الطبيعي حيث يجتمع فيه الحس، أو تشترك في العامة ولا يخرج عن المفهوم الدنيوي، ثم الصورة ويقابلها الحب الروحي، أو البرزخ، ثم الفناء ويقابله الحب الإلهي ،وبالتالي هو تدرج ارتقائي تكاملي يبدأ من لحظة النظر في المتجليات إلى لحظة الخيال حيث مالا نهائي ، ونلحظ التوازي في الصورة مع الروح

2 -**الصورة والمادة:** إن تصديرنا للعنوان ب: جدلية المادة ،الصورة ، والروح وما تفرع عنه من مصطلحات رديفة في بحثنا يوحي ولاريب بداهة بحضور الفلسفة في التصوف، وخاصة إذا تعلق الأمر بالجانب المعرفي فيحمل الكثير من التقاطعات حيث ينطوي كل قول للتصوف في قضايا المعرفة والوجود على قدر من التفلسف مع استخدام مصطلحات تبدو أنها فلسفية، غير أن مثل هذا الاستخدام يتخذ

مدلولات أخرى يكتسبها بحسب سياق المعرفة الصوفية ونظامها النسقي ،ويتباين ذلك من خلال رسم الطريق إلى الحقيقة وإلى المعرفة ذاتها.

من المعلوم أن المصطلحات السالفة الذكر تناولها الفلاسفة ضمن منظومة فلسفية قائمة على أساس فلسفة أرسطو والتي تجعل المقاربة أو المفاضلة بين المادة والصورة أساسا لفلسفتهم تحت تأثير مثال المنضدة المشهور ،الذي ضربه أرسطو مثلا للفرق بين الصورة والمادة، وهو أن" المنضدة مادتها الخشب والغراء ،وصورتها هي التركيب المخصوص ،الذي تآلف به الخشب والغراء حتى ظهر على هذا الشكل (فنطازي، 2013)

ولم يكن تراثنا العربي عقيما عن طرح مثل هذه المسائل ومناقشتها تنظيرا كشفا ،تغييرا ،وتأثيرا فهذا الفارابي في القرن الثالث يطرح مسألة المادة ،والصورة طرحا فارقا ينم عن ذخيرة معرفية تحتاج الوقوف عندها مرات ومرات يقول في ذلك: "والصورة هي في الجسم الجوهر الجسماني ،مثل شكل السرير في السرير، والمادة مثل خشب السرير. فالصورة هي التي بها يصير الجوهر المتجسّم جوهر بالفعل ، والمادة هي التي يكون بها جوهرا بالقوة .فإن السرير هو سرير بالقوّة من جهة ما هو خشب، ويصير سريرا بالفعل متى حصل شكله في الخشب .والصورة قوامها بالمادة ،والمادة موضوعة لحمل الصور، والصور ليس لها قوام بذواتها وهي محتاجة إلى أن تكون موجودة في موضوع ،وموضوعها المادة ،والمادة إنما وجودها لأجل الصورة. (الفارابي، 1964)

يبدو أن الفهم الصوفي كما هو عند ابن عربي، للصورة في الحب الروحي أوضح وأهم من المادة ،وبذلك يمثل الحب الروحي عند الصوفية برزخا بين عالم المثل وعالم الحس ،أو المادة، والمنظومة المعرفية الصوفية تتجاوز الظاهر إلى الباطن، وخاصة في أشعارهم ورمزية معانيهم .وبالتالي تقيم جل حقائقها على الصورة في مقابل المادة. وهذا لا يعني بالضرورة إهمال المادة ،بل هي حاضرة

وبقوة في المفاهيم الصوفية ،وهي العتبة التي من خلالها يتم التوالج كالمكان ،والشمس ،والشجر ..الخ فتغدوا رموزا كما هو الحال مع الثنائية التقابلية كالظاهر والباطن، الإشارة والعبارة على سبيل المثال، وبالتي يرسخ الخطاب الصوفي مفهوم التنامي المستمر المتجدد ،مادة ثم، صورة فبرزخ فخيال ." وقد عني الصوفية بالخيال عناية فائقة فتجلى ذلك في كتابات ابن عربي ،الذي يعد أكبر صوفي خاض هذا المجال على الإطلاق ،حيث بنى كل تجربته الصوفية على هذا العنصر ،فهو بالنسبة إليه ضرب من المعرفة بل هو "صاحب الإكسير" الذي تحمله على المعنى فيجسده في أي صورة شاء" (كعوان، شعرية الرؤيا التأويل وأفقية التأويل، 2003)

وتأسيسا على ما تقدم وانطلاقا من نظرية ابن عربي في الحب الإلهي تغدو المرأة في الفهم الأكبري أجلّ صورة للتجلي وللحب المطلق الشيء الذي جعل ابن عربي حين استنكر الفقهاء ديوان ترجمان الأشواق ورفضوا وصله بالأسرار الإلهية ،انبرى يدافع عن رؤيته ويجلي ما التبس ليكتب شرحا لهذا الديوان أسماه ذخائر الأعلاق لشرح ترجمان الأشواق ، وجاء هذا دفاعا عن تجربته ،التي تأولت الحب ودرجة الجنون وهو العشق بما هو تجربة مع الإ لهي وفيه بسط لمفهوم التجلي ومنزلة المرأة .

يقول ابن عربي : (عربي، ترجمان الأشواق، 1966)

كلما أذكره مما جـــــرى * ذكره أو مثله أن تفهـــما**

منه أسرار وأنوار جـــلـت * أو علت جاء بها رب السما**

فاصرف الخاطر عن ظاهر * واطلب الباطن حتى تعلما**

"ولما كان الجمال الطبيعي آسرا لعقول وقلوب الناس لتجلي عظمة الله فيه ،جعله الله بابا من أبواب جماله المطلق ،لهذا كانت المرأة لدى الصوفية أفضل دال رامز لهذا الجمال المطلق الذي يصعب تصوره وتقييده بنموذج دنيوي." 18

(كعوان، التاويل وخطاب الرمز قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، 2009، صفحة 454)

و في هذا الباب أسهب العفيفي مفسرا ومعللا حب الشيخ ابن عربي لتلك الحسناء -النظام- يقول "فلا شك أنه قد وجد في تلك الصورة الإنسانية الحسناء، مجلى من مجالي الجمال الإلهي المطلق الذي تعشّقه وقدسه ،وألفى لها مكانا في قلبه، لا من حيث هي امرأة يعشق جمالها الحسي الفاني ،ولا من حيث هي موضع لشهوة أو هوى ،بل من حيث هي رمز لذلك الجمال الشامل المتجلي فيها في صورة كاملة. فإذا بثها حبه وأشواقه ، فإنما يتجه بحبه وأشواقه إلى الذات الإلهية التي هي صورة من صورها ." (العفيفي، 1998، صفحة 225)

وتطالعنا الذخيرة العربية بنماذج جديرة بالبحث والتقصي عن قصص المتاحبين وكيف ارتقوا بمعشوقاتهم فباتت تتجلى لهم في حلّهم وترحالهم ، ووصل بهم الوجد والتعلق بأن لقب بعضهم بالمجانين .

ومن ذلك مارواه "صاحب الكشكول قصة عن قيس تشير بوضوح مدا تعلق الحبيب بمحبوبه وكيف يتجلى له في كل مكان من المنظور القيسي، وهو تماما ما تبناه الصوفية بفهم أدق وأجل فيقول: "مر المجنون على منازل ليلى بنجد فأخذ يقبل الأحجار ،ويضع جبهته على الآثار فلاموه على ذلك فحلف إنه لا يقبل في ذلك إلا وجهها ،ولا ينظر إلا جمالها، ثم رؤى بعد ذلك في غير نجد وهو يقبل الآثار ويستلم الأحجار فليم على ذلك ،وقيل له: إنها ليست منازلها ،فأنشد: (هيمة، 2013، صفحة 245)

لاَ تقل دارها بشرقي نجدِ * كلُّ نجدِ للعامرية دارُ**

فلها منزلُ على كلِّ أرضِ * وعلى كلِّ دمنة آثـــار**

إذا كان هذا حال البشر مع البشر – المادة مع المادة – فلا غرابة البتة إذا وجدنا المتصوفة يفنون في حب الله ويرون الكون كله معان قائمة بالصور،

ويواصل الدكتور أبو العلاء تأويل ما جاء على لسان ابن عربي وسرّ تعلقه بالنظام فيربطه بالحب الإلهي في كل عبارة وإشارة "...لم تكن تلك الحسناء إذاً سوى واحدة من صور الجمال اللانهائي التي وسعها قلب ابن عربي وأحبها ،لا من حيث ذاتها ،بل من حيث هي رموز ومجال للذات الإلهية الواحدة المحبوبة على الإطلاق والمعبودة على الإطلاق ،لأن المحبوب عنده واحد مهما تعددت مجاليه ،والجميل واحد تعدده صوره ،والمعبود واحد مهما تعددت أشكاله." (العفيفي، 1998، صفحة 225)

تظل الصورة حاضرة في الخطاب الصوفي ولا سيما فيما تعلق بالحب مقابل المادة مشكّلة بذلك بعدا مفاهيميا بعيد الغور ،ثم ترتقي لتحمل الصورة حمولات معرفية هلامية واصلة بين عالم الحس وعالم المثال وتتفرع إلى الصورة الحسية والذهنية والفنية البلاغية ،في حين تبقى المادة ملازمة للصورة في عالم الشهود كسلم يرتقى به إلى عالم الغيب أو المطلق ،"وأي محاولة لإيجاد تحديد نهائي مستقر للصورة غير منطقي ،إن لم يكن ضربا من المحال ،لأنها تنتمي إلى الفردية والذاتية وحدود الطاقة الإبداعية المعبر عنها بالموهبة". (صالح، 1994) هذا من جهة ،ومن جهة أخرى لا يمكن إدراك المطلق بالمقيد "فجميع الصور الحسية والمعنوية مظاهره ؛فهو الناطق من كل صورة لا في كل صورة ،وهو المنظور بكل عين ،وهو المسموع بكل سمع " . (غول، 2015)

ومن ثمّ فإن حديثنا عن التلازمية بين الصورة والمادة ،والروح في الخطاب الصوفي و في الفكر الأكبري تحديدا يؤدي إلى فهمنا بأنه تأويل للبصر، أو المادي المحسوس في الواقع ، و هو أيضا منتج للصور الذهنية التي تمر باللغة كي تتمظهر .لذلك كتب ابن عربي في هذه الجدلية الرابطة بين الصورة والمادة فيقول: (عربي، الفتوحات المكية، 2009، صفحة 307)

الأذن عاشقة والعـــين عاشـقة * شتان بين عشق العين والخـــــــبر**

فالأذن تعشق ما وهــمي يصوره * والعين تعشق محسوسا من الصـور**

ألا هـــوى زيـــنب فإنه عــجـب * قد استوى فيه حظ ا لسمع والبصر**

وصاحب الأذن إن جاء الحبيب له * في صورة الحسن ما ينفك عن غـير**

"وقد كشف مذهب الصوفية في التجلي الصوري والإبداع الخيالي عن تصورات أساسية منها لا نهائية الصور ...وهذا هو تحول الحق في الصور عند التجلي ،وهكذا ينشط الخيال الإبداعي ...ويضع اللا مرئي والمرئي والروحي والمادي في تجانس تام" (رامي، 2005) هذا المفهوم يجعل الصورة ،بما هي ذهنية وصورة محسوسة في الآن نفسه،صورة تدخل في مجال الخيال ،وعلينا هنا أن ننتبه إلى أن هذا الربط بين نمطين من الصور أي الأيقونية والصورة الذهنية يفتحنا في عالم منكر للتصوير نحو بناء وعي ومبحث لا يفصل بين النمطين بل بينهما معا في المتخيل البصري منه والذهني، ومن ناحية أخرى فإن هذا الطابع البيني للبرزخ ولعالم الصور وللصورة نفسها يندرج لدى ابن عربي في تصور مزدوج للكون يقول : (عربي، فصوص الحكم، 2006)

فللواحد الرحمن في كل موطـــن * من الصور ما يخفى وهو ظـاهر**

فإن قلت هذا الحق قد تك صـدقا * وإن قلت أمرا آخــر أنــت عابر**

وما حكمه في موطن دون موطـــن * ولكنه بالحق للخـلق ســـــافر**

إذا ما تجلى للعيون تـــــــــــرده * عقول ببرهان عليه تثـــــابر**

ويقبل في مجلى العـقول وفي الـــذي *** يسمى خيالا والصحيح النـواظر

ومن ثم فإن تجلي الحق في الصور يتطلب رد الرمز إلى المرموز ؛فإن هذا الا زدواج مدعاة للتأويل الصوري البصري بين المرئي واللامرئي .فالصورة المرئية ليست دائما مرئية ،ولذلك حظي الخيال كما أسلفنا بمنزلة عالية، فمن خلاله يمكن تجلية الكثير من المفاهيم الغامضة وتهيئة أفق المتلقي .

أن تطرقنا للصورة وعلاقتها بالمادة ،والروح لم يكن بوجهة فنية بلاغية ،بل برؤية بصرية للمادي وتأويلية صوفية تبحث عن توافق على اصطلاحي على ضوء البنية المعرفية للخطاب الصوفي من خلال عرفانية ابن عربي .

خاتمة:

من خلال ما تقدم شرحه يمكننا أن نوجز أهم ما أمكن التوصل إليه في النقاط الآتية:

1 - تتقاطع مفاهيم المادة والصورة والروح في فلسفة ابن عربي تقاطعا كبيرا كونها تعود إلى أصل واحد ،ذلك أن أصل الوجود هو الحب كما يراه ابن عربي .

2- الاستواء يجعل الصورة ،بما هي ذهنية وصورة محسوسة في الآن نفسه، صورة تدخل في مجال الخيال .

3- الحب روحي يحتوي الحب الطبيعي المادي لكنه يترك المادة ويأخذ بالصورة ليرتفع بالحب من مستوى المادة الحسي- إلى مستوى الصورة –المعنوي-ثم من بعد ذلك إلى مستوى أعلى حيث الفناء.

4- لا ينفي ابن عربي وجود تعلق من إرادة يسعى المحب من خلالها لنيل رضي محبوبه حالا ومقاما ،وهو بذلك في ترقي متجدد مستمر لديمومة الاتصال.

5- الجانب الحسي –المادة- في أشعار المتصوفة تجعل منه مجرد متكئ، ففي الحب الروحي يُتجرد من المادة والعالم الحسي ، وابن عربي يجعل من الحب الروحي ملازما للمعنوي . (المادة والصورة)

6- المادة في الحب الروحي غير مشروطة بالضرورة لأنها حتى وإن كانت معدومة، فإنها ممثلة في الحضرة الخيالية تساوي الصورة- لكنها تظل متعلقة بها كصورة طبيعية عكس الحب الطبيعي –المادة- أي العالم الحسي، الذي لا يتعلق بصورة واحدة يعيّنها مادا م يطلب اللذة والنكاح في الاتصال.

7 - الإنسان صورة وجودية مركبة فهو صورة للألوهية والعالم ،وهو حب للألوهية من جهة، ولتجلياتها عبر أشكال موجودات العالم أيضا من جهة أخرى.

8 – لا يمكن تحيد مفهوم للصورة ثابت، لأنها تنتمي إلى الفردية، والذاتية وحدود الطاقة الإبداعية المعبر عنها .

-9 تتقاطع مصطلحات :المادة، الصورة والروح مع الحقول الفلسفية مولدة شيئا من الغموض لا سيما في المجال المعرفي غير أنها تحمل معاني مفارقة في الخطاب الصوفي وفق نظامه المعرفي الموصول بالحقيقة المطلقة.

قائمة المراجع

العفيفي ,أ .ا .(1998) .التصوف الثورة الروحية في الا سلام .بيروت :دار الشعب.

الفارابي .(1964) .السياسة المدنية .بيروت :المطبعة الكاثوليكية.

المصطفى ,م ,2018) .مارس .(نظرية الإبداع عند السادة الصوفية ،مقاربات دالة . *مجلة أفاق فكرية*.92 ,(8)*4* ,

خوالدية ,أ .(2014) .الرمز الصوفي من الإغراب بداهة إلى الإغراب قصدا .الجزائر : منشورات الاختلاف.

رامي ,س .(2005) .شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية .مصر :الهيئة المصرية للكتاب.

زيد ,ن .ح .(1996) .فلسفة التأويل -دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي . بيروت :المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء.

صالح ,ب .م .(1994) .الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث .بيروت :المركز الثقافي العربي.

عربي ,ا .(1966) .ترجمان الأشواق .بيروت :دار صادر.

عربي ,ا .(1996) .الديوان الكبير .بيروت :دار لكتب العلمية.

عربي ,ا .(2002) .التجليات الإلهية .بيروت :دار الكتب العلمية.

عربي ,ا .(2006) .فصوص الحكم .مصر :دار آفاق للنشر والتوزيع.

عربي ,ا .(2009) .الفتوحات المكية .بيروت :دار الطّليعة للطباعة والنشر.

فنطازي ,م .(2013) .الصورة الفنية في الشعر الحر .الأغواط :مطبعة بن سالم .

كعوان ,م .(2003) .شعرية الرؤيا التأويل وأفقية التأويل .الجزائر :منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين.

كعوان ,م .(2009) .التاويل وخطاب الرمز قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر .الجزائر :دار بهاء الدين.

هيمة ,ع .ا .(2013) .الخطاب الصوفي آليات التأويل .الجزائر :دار الأمير خالد.

ينظرشهر زاد غول. (2015). الوظائف اللغوية في الخطاب الصوفي ،مقاربة تأويلية في الفتوحات المكية لابن عربي. الجزائر: دار الكتاب للنشر والتوزيع.